الحركات القتالية

بين نداءين (يا أصحاب السمرة) و(يا أهل يثرب)

للدكتور

سامي العريدي

قدم لها الشيخان الفاضلان

الدكتور هاني السباعي . حفظه الله

والشيخ أبو محمد المقدسي . حفظه الله

الحركات القتالية

بين نداءين

(يا أصحاب السَّمُرَة) و (يا أهل يَثْرِب)

للدكتور سامي بن محمود العريدي –حفظه الله–

قدم له الشيخان الفاضلان

الشيخ الدكتور هاني السباعي –حفظه الله–

والشيخ أبو محمد المقدسي –حفظه الله–

تقديم الشيخ الدكتور هاني السباعي –حفظه الله–

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

أتقدم بين يدي القارئ الكريم بتقدمة متواضعة لرسالة بعنوان (الحركات القتالية بين نداءين: يا أصحاب السمرة ويا أهل يثرب) للشيخ الفاضل المجاهد الدكتور سامي العريدي حفظه الله تعالى.

أقول وبالله التوفيق:

الرسالة عبارة عن كلمات حية تقطر ثباتا ووفاءً لعقيدة نقية وأملاً ينير الطريق أمام الشبيبة التي تتقاذفها أمواج الشبهات المتلاطمة

رسالة الدكتور العريدي تطل برأسها حية من أشفار محنة مريرة تكاد تخنق الأمة الإسلامية؛ فعنوان الرسالة (يا أصاحب السمرة) مذكراً أهل التوحيد ورأس حربتهم أهل الجهاد.. وفي المقابل محذراً إياهم من الانتساب لوحل الوطنية (يا أهل يثرب)!! فبون واسع بين الفريقين!

فأصحاب السمرة هم أهل التوحيد أهل الجهادة والبلاء، هم أهل الوفاء للبيعة على نصرة الإسلام وأهله..

أما أصحاب (يا أهل يثرب) فهم الذين استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير!! فلا خير فيهم ولا نصر يتحقق على أيديهم..

رسالة الدكتور سامي كأنها الصارخ يوم حنين مذكراً الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ببيعتهم على الموت ونصرة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية؛ ثم سرعان ما لامست كلمات العباس رضي الله عنه شغاف قلوب الصحابة الكرام فثبتوا وانقلبت الهزيمة إلى نصر وخير عميم.

لقد هيّج الدكتور سامي العريدي أفئدة مكلومة أسيفة على ما حل بالمسلمين في زماننا، وأراق دمعاً لم يكن بمراق! وهو يشدنا بحنين إلى عبق السيرة النبوية المشرفة التي افتقدناها في واقعنا المعاصر. نعم! لقد شدنا من حَنين للماضي المنير إلى "حُنين" المعركة التي صارت أنموذجاً للمسلم في كيفية الاستفاقة عند الهزيمة والاعتصام بالله وحده وما أحوجنا إلى من يشدنا لهذ الحنين.

لقد سلط صاحب الرسالة المكرم الضوء على ركيزتين؛ وهما بمثابة العمود الفقري لقوام الجماعة المسلمة؛ الركيزة الأولى: التقوى التي تجعل المسلم وفياً لتوحيده والاعتصام بحبل الله وحده لا بحبال الناس. الركيزة الثانية: ركيزة الأخوة في الله على منهج الله وحده.

وتكلم الشيخ عن الجماعات القطرية والوطنية التي هي من إفرازات الجاهلية المعاصرة تلكم الجماعات أو الدعوات التي شرذمت ومزقت الأمة؛ ومن ثم لا حل لخروج الأمة من مصائبها إلا بالرجوع إلى شرع الله وحده، لا نصر إلا بالولاء لله وحده، لا دحر للباطل إلا بالبراء من الشرك وطواغيته.

الرسالة رغم أنها قصيرة إلا أنها زبدة من فوائد طيبة أحسبها تنير عقول شبيبة؛ كاد أن يجرفهم تيار نزاع الفصائل –لا سيما في الساحات الجهادية– إلى تنكب الطريق القويم.

لا أريد أن أطيل وأترك القارئ الكريم مع هذا الرسالة الطيبة نفع الله بها المسلمين، وبارك في مؤلفها الكريم.

د. هاني السباعي

٧ من ذي الحجة ١٤٣٩هـ الموافق ١٨ أغسطس ٢٠١٨

تقديم الشيخ أبي محمد المقدسي –حفظه الله–

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فقد طالعت هذه الرسالة الطيبة لأخينا الشيخ الدكتور الحبيب سامي العريدي سدّده الله ونفع به فألفيتها ضرورية في وقتها مهمة نافعة في موضوعها خصوصا ونحن نرى ونشاهد تشوّش البوصلة عند كثير من الجماعات والأفراد؛ وتنازل كثير منها عن الثوابت التي كانت عندهم من قبل كالجبال الرواسي التي لا تتزحزح فإذا بها قد أمست كالعهن المنفوش؛ فرأينا من انقلب على عقبيه وألقى سلاحه وثوابته ومبادئه وعاد إلى حضن الطاغوت؛ ورأينا من انتكس عما كان يعظمه ويدافع عنه بالأمس ويعده مما لا يساوم عليه؛ فأمسى يتبرأ منه ويذمه ويطعن في أهله ويشوههم.

فصار لزاما التأكيد على الثبات والدعاء به والدعوة إليه والتذكير بأهله؛ وضرورة الانحياز إلى أصحاب الطائفة التي تعلن دون تردد عن نصرتها للشريعة وبراءتها من كل السبل المعوجة التي تلتقي مع طواغيت الغرب أو الشرق في مشاريعهم الفاسدة.

وصار لزاما التمييز بين سبيل المؤمنين الموحدين وسبل الوطنيين والوثنيين وإخوانهم.

ولذلك ركز أخونا حفظه الله ونبّه في رسالته إلى ضرورة التمييز بين النداءين نداء (يا أهل السمرة)؛ ونداء (يا أهل يثرب) ولا شك أن بين النداءين كما بين بعد المشرقين ومن آثار وأقوال وأفعال أهلهم تميزوهم ففي النوازل والملمات قال من هم على سبيل أصحاب السمرة:(هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا)

وقال من ينادون بيا أهل يثرب (ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا)

ومثل هؤلاء من قالوا من قبل:(لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ)

ومثل الأولين من قالوا:(كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)

وهذا يدلك على أن الآمال في الملمات والنوازل إنما تُعقد على الفئة الصادقة والقلة المؤمنة والطائفة الثابتة على ما تركها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛لم تبدل ولم تغير ،لا على الغثاء الذين يقاتلون للمغنم أو نصرة لعصبية أو وطنية أو راية عمية؛ ومن يتابع ما يجري اليوم في الساحات التي بدأت ثوراتها وقتالها باسم الله وتوكلا على الله ورفعا لكلمة الله ،واتخذوا من ذلك شعارا ورايات ثم ما فتئت كثير من هذه الفئات تتراجع وتتنازل عن ثوابتها شيئا فشيئا ؛حتى وصل بعضهم إلى استرضاء واستجداء طواغيت الشرق والغرب ليرضوا عنهم ويقبلوا بهم!

وهم يقرأون ليل نهار قول الله تعالى: (وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)

ولذلك فإن التأكيد على الثبات حتى الممات؛ والدندنة على ذلك مهم دائما وأبدا؛ وتتأكد أهميته في مثل هذه النوازل والأحوال،

والتواصي ضروري بلزوم درب الطائفة القائمة بأمر الله لا يضرها من خالفها ولا من خذلها حتى يأتي أمر الله (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

أبو محمد المقدسي

ذو القعدة ١٤٣٩ هـ

الحركات القتالية

بين نداءين

(يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ) و (يَا أَهْلَ يَثْرِبَ)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى الأنبياء والرسل أجمعين،

أما بعد:

إن من سبل النجاة والرشد عند ورود الشبهات واضطراب الآراء النظر في سيرة الأولين وخاصة فيما تشابه من أحداث ومسائل عن العرباض بن سارية قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت لها الأعين، ووجلت منها القلوب، قلنا أو قالوا: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فأوصنا .

قال: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة" ..

وهذا أمر مستقر في الأذهان ومدون في الأوراق ولكن عند التطبيق والتنزيل نجد التباين والاختلاف بين التنظير والتطبيق..

فقد كان مستقرا في الأذهان ومدونا في الكتب أن الغاية من جهادنا دفع الصائل وإقامة الدولة الإسلامية التي يكون فيها الدين كله لله كما أمرنا الله تعالى بقوله: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ

نَصِيرًا} [النساء: ٧٥] وقال الله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} [البقرة: ١٩٣]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد"

وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

وكان مستقرا في الأذهان ومدونا في الكتب والأوراق أن النصرة بين المسلمين تقوم على أساس الدين وإن اختلفت الأمصار وأن الدعوات التي تجعل النصرة على مفهوم الوطنية والترابية والقطرية دعوات منتنة على أقل توصيف

قال سيد قطب –رحمه الله–: (إنهما ركيزتان تقوم عليهما الجماعة المسلمة، وتؤدي بهما دورها الشاق العظيم. فإذا انهارت واحدة منهما لم تكن هناك جماعة مسلمة، ولم يكن هنالك دور لها تؤديه:

ركيزة الإيمان والتقوى أولا .. التقوى التي تبلغ أن توفي بحق الله الجليل .. التقوى الدائمة اليقظة التي لا تغفل ولا تفتر لحظة من لحظات العمر حتى يبلغ الكتاب أجله:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ»..

اتقوا الله –كما يحق له أن يتقى– وهي هكذا بدون تحديد تدع القلب مجتهدا في بلوغها كما يتصورها وكما يطيقها. وكلما أوغل القلب في هذا الطريق تكشفت له آفاق، وجدّت له أشواق. وكلما اقترب بتقواه من الله، تيقظ شوقه إلى مقام أرفع مما بلغ، وإلى مرتبة وراء ما ارتقى. وتطلع إلى المقام الذي يستيقظ فيه قلبه فلا ينام! «وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»..

والموت غيب لا يدري إنسان متى يدركه. فمن أراد ألا يموت إلا مسلما فسبيله أن يكون منذ اللحظة مسلما، وأن يكون في كل لحظة مسلما. وذكر الإسلام بعد التقوى يشي بمعناه الواسع: الاستسلام. الاستسلام لله، طاعة له، واتباعا لمنهجه، واحتكاما إلى كتابه. وهو المعنى الذي تقرره السورة كلها في كل موضع منها، على نحو ما أسلفنا.

هذه هي الركيزة الأولى التي تقوم عليها الجماعة المسلمة لتحقق وجودها وتؤدي دورها إذ أنه بدون هذه الركيزة يكون كل تجمع تجمعا جاهليا ولا يكون هناك منهج لله تتجمع عليه أمة، إنما تكون هناك مناهج جاهلية ولا تكون هناك قيادة راشدة في الأرض للبشرية، إنما تكون القيادة للجاهلية.

فأما الركيزة الثانية فهي ركيزة الأخوة.. الأخوة في الله، على منهج الله، لتحقيق منهج الله:

«وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا، وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً، فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً. وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها. كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» ..

فهي أخوة إذن تنبثق من التقوى والإسلام.. من الركيزة الأولى.. أساسها الاعتصام بحبل الله –أي عهده ونهجه ودينه– وليست مجرد تجمع على أي تصور آخر ، ولا على أي هدف آخر، ولا بواسطة حبل آخر من حبال الجاهلية الكثيرة!

«وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا»..

هذه الأخوة المعتصمة بحبل الله نعمة يمتن الله بها على الجماعة المسلمة الأولى. وهي نعمة يهبها الله لمن يحبهم من عباده دائما..

وهو هنا يذكرهم هذه النعمة. يذكرهم كيف كانوا في الجاهلية «أَعْداءً».. وما كان أعدى من الأوس والخزرج في المدينة أحد. وهما الحيان العربيان في يثرب. يجاورهما اليهود الذين كانوا يوقدون حول هذه العداوة وينفخون في نارها حتى تأكل روابط الحيين جميعا. ومن ثم تجد يهود مجالها الصالح الذي لا تعمل إلا فيه، ولا تعيش إلا معه. فألف الله بين قلوب الحيين من العرب بالإسلام.. وما كان إلا الإسلام وحده يجمع هذه القلوب المتنافرة. وما كان إلا حبل الله الذي يعتصم به الجميع فيصبحون بنعمة الله إخوانا.

وما يمكن أن يجمع القلوب إلا أخوة في الله، تصغر إلى جانبها الأحقاد التاريخية، والثارات القبلية، والأطماع الشخصية والرايات العنصرية، ويتجمع الصف تحت لواء الله الكبير المتعال..

«وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً ، فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً» ..

ويذكرهم كذلك نعمته عليهم في إنقاذهم من النار التي كانوا على وشك أن يقعوا فيها، إنقاذهم من النار بهدايتهم إلى الاعتصام بحبل الله –الركيزة الأولى– وبالتأليف بين قلوبهم، فأصبحوا بنعمة الله إخوانا – الركيزة الثانية – :

«وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها».

والنص القرآني يعمد إلى مكمن المشاعر والروابط: «الْقَلْبِ» .. فلا يقول: فألف بينكم. إنما ينفذ إلى المكمن العميق: «فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ» فيصور القلوب حزمة مؤلفة متآلفة بيد الله وعلى عهده وميثاقه. كذلك يرسم النص صورة لما كانوا فيه. بل مشهدا حيا متحركا تتحرك معه القلوب: «وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ».. وبينما حركة السقوط في حفرة النار متوقعة، إذا بالقلوب ترى يد الله، وهي تدرك وتنقذ! وحبل الله وهو يمتد ويعصم. وصورة النجاة والخلاص بعد الخطر والترقب! وهو مشهد متحرك حي تتبعه القلوب واجفة خافقة، وتكاد العيون تتملاه من وراء الأجيال! وقد ذكر محمد بن إسحاق في السيرة وغيره أن هذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج. وذلك أن رجلا من اليهود مر بملأ من الأوس والخزرج، فساءه ما هم عليه من الاتفاق والألفة، فبعث رجلا معه، وأمره أن يجلس بينهم، ويذكر لهم ما كان من حروبهم يوم «بعاث»! وتلك الحروب. ففعل. فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوس القوم، وغضب بعضهم على بعض، وتثاوروا، ونادوا بشعارهم. وطلبوا أسلحتهم.

وتوعدوا إلى «الحرّة».. فبلغ ذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– فأتاهم، فجعل يسكنهم، ويقول: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم» وتلا عليهم هذه الآية، فندموا على ما كان منهم، واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح رضي الله عنهم.

وكذلك بين الله لهم فاهتدوا، وحق فيهم قول الله سبحانه في التعقيب في الآية:

«كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ».

فهذه صورة من جهد يهود لتقطيع حبل الله بين المتحابين فيه، القائمين على منهجه، لقيادة البشرية في طريقه .. هذه صورة من ذلك الكيد الذي تكيده يهود دائما للجماعة المسلمة، كلما تجمعت على منهج الله واعتصمت

بحبله. وهذه ثمرة من ثمار طاعة أهل الكتاب. كادت ترد المسلمين الأولين كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض. وتقطع بينهم حبل الله المتين، الذي يتآخون فيه مجتمعين. وهذه صلة هذه الآية بالآيات قبلها في هذا السياق.

على أن مدلول الآية أوسع مدى من هذه الحادثة. فهي تشي –مع ما قبلها في السياق وما بعدها–بأنه كانت هناك حركة دائبة من اليهود لتمزيق شمل الصف المسلم في المدينة، وإثارة الفتنة والفرقة بكل الوسائل. والتحذيرات القرآنية المتوالية من إطاعة أهل الكتاب، ومن الاستماع إلى كيدهم ودسهم، ومن التفرق كما تفرقوا.. هذه التحذيرات تشي بشدة ما كانت تلقاه الجماعة المسلمة من كيد اليهود في المدينة، ومن بذرهم لبذور الشقاق والشك والبلبلة باستمرار.. وهو دأب يهود في كل زمان. وهو عملها اليوم وغدا في الصف المسلم، في كل مكان!

فأما وظيفة الجماعة المسلمة التي تقوم على هاتين الركيزتين لكي تنهض بها.. هذه الوظيفة الضرورية لإقامة منهج الله في الأرض، ولتغليب الحق على الباطل، والمعروف على المنكر، والخير على الشر.. هذه الوظيفة التي من أجلها أنشئت الجماعة المسلمة بيد الله وعلى عينه، ووفق منهجه.. فهي التي تقررها الآية التالية:

«وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» ..

فلا بد من جماعة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. لا بد من سلطة في الأرض تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. والذي يقرر أنه لا بد من سلطة هو مدلول النص القرآني ذاته....)

وقال سيد قطب –رحمه الله–: (وأخيرا يختم هذا الدرس، وتختم السورة معه، ببيان طبيعة العلاقات في المجتمع المسلم، وطبيعة العلاقات بينه وبين المجتمعات الأخرى وبيان الأحكام المنظمة لهذه العلاقات وتلك ومنه تتبين طبيعة المجتمع المسلم ذاته والقاعدة التي ينطلق منها والتي يقوم عليها كذلك.. إنها ليست علاقات الدم، ولا علاقات الأرض، ولا علاقات الجنس، ولا علاقات التاريخ، ولا علاقات اللغة، ولا علاقات الاقتصاد .. ليست هي القرابة، وليست هي #الوطنية ، وليست هي القومية، وليست هي المصالح الاقتصادية .. إنما هي علاقة العقيدة، وعلاقة القيادة، وعلاقة التنظيم الحركي.. فالذين آمنوا وهاجروا إلى دار الهجرة والإسلام، متجردين من كل ما يمسكهم بأرضهم وديارهم وقومهم ومصالحهم، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووهم ونصروهم ودانوا معهم لعقيدتهم وقيادتهم في تجمع حركي واحد، أولئك بعضهم أولياء بعض.. والذين آمنوا ولم يهاجروا ليس بينهم وبين

المجتمع المسلم ولاية لأنهم لم يتجردوا بعد للعقيدة، ولم يدينوا بعد للقيادة ولم يلتزموا بعد بتعليمات التجمع الحركي الواحد .. وفي داخل هذا التجمع الحركي الواحد تعتبر قرابة الدم أولى في الميراث وغيره .. والذين كفروا بعضهم أولياء بعض كذلك .. هذه هي الخطوط الرئيسية في العلاقات والارتباطات، كما تصورها هذه النصوص الحاسمة:

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا. وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ .. فِي الدِّينِ .. فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ – إِلَّا عَلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ – وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ .. إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ .. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولئِكَ مِنْكُمْ. وَأُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».....)

هذا ما كان مستقرا في الأذهان ومدونا في الكتب.. ولكن مع طول زمن الابتلاء وشدته وتعاظم خطر الأعداء وإحاطتهم بالمجاهدين من جميع الجوانب ظهر التباين والاختلاف بين التنظير لاتباع سبيل الأولين والتطبيق لهذا المبدأ..

فظهرت الدعوات والحركات القتالية الوطنية والقطرية التي حصرت دعوتها وجهادها في الدعوات الوطنية وهي تعلم في داخلها وفي مجالسها الخاصة أن حقيقة الصراع أنه صراع ديني قبل كل شيء كما قال الله تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة: ١٢٠]

وقال تعالى: {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} [البقرة: ٢١٧]

ولكنها ظنت أنها تستطيع أن تسوق نفسها للمجتمع الدولي من خلال صبغ نفسها بالصبغة الوطنية والقطرية.. ولكن جَهِل هؤلاء أو تجاهلوا أن التاريخ والواقع أثبت فشل هذه التجارب والأساليب كما بين ذلك الشيخ أبو مصعب السوري في كتاب دعوة المقاومة..

ولا يفهم من هذا الكلام الدعوة لمحاربة جميع الأعداء في وقت واحد فهذا أمر مخالف لسير الأولين كما بينا ذلك في رسالتنا "نهجنا تحييد الأعداء ما أمكن لا مداهنة الأعداء" فالمحافظة على العمل الجهادي من دخول الدعوات الوطنية والقطرية لا يتنافى مع مبدأ تحييد الخصوم ومبدأ فقه الأولويات الذي أصل له الشيخ البليدي –تقبله الله–في كتابه (الشريعة الإسلامية وفقه التطبيق)

فالمقصود أن الحركات الجهادية ينبغي أن تحافظ على مبدأ الجهاد على أساس الدين قال تعالى: {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} [البقرة: ٢١٧]

قال أبو مصعب السوري –رحمه الله–: (إن على الذين آمنوا بضرورة الجهاد لإعلاء كلمة الله وإقامة حكمه الإسلامي الصرف والنظيف بعيدا عن كل أنصاف الحلول المداهنة والمهادنة المستسلمة، وآمنوا بأنه لن يكون من طريق لهذا والحال هي ما وصلت إليه في سوريا الشام إلا الجهاد الثوري المسلح عليهم بناء أنفسهم بناء عسكريا نابعا من هذه الرؤيا، بناء لا ينسى أنه تنظيم إسلامي قبل كل شيء، بكل ما لهذه الكلمة العريضة من دلائل وضوابط ... لجمع أولئك المجاهدين الصادقين العازمين على التضحية في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم في تنظيم واحد هو الوسيلة لهذا الهدف السامي)..

فأي حركة تربي جنودها على الصراع والقتال بمفهوم الوطنية والقطرية ستجد أن جنودها يتخلون عنها إذا وجدوا حلولا تحافظ لهم على وطنهم وترابهم الذين يقاتلون من أجله ولو كان ذلك عن طريق أعدائها كما هو مشاهد في الواقع..

والحركة التي تربي وتبايع جنودها على مفهوم دفع الصائل وإقامة الدين والنصرة للمسلمين لا تتنازل عن هذا المفهوم قبل تحققه على أرض الواقع ولو أخذ منها مراحل مختلفة وأجيالا عديدة

فالنوع الأول من الحركات التي تربي جنودها على المفهوم الوطني ستجد خطابها عند شدة الابتلاء وطول مدته وإحاطة الأعداء بهم مشابها لخطاب من قال الله فيهم:

{وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا} [الأحزاب: ١٣]

قال الشيخ السعدي –رحمه الله–في تفسيره: (فقالت هذه الطائفة: {يَا أَهْلَ يَثْرِبَ} يريدون " يا أهل المدينة " فنادوهم باسم الوطن المنبئ عن التسمية فيه إشارة إلى أن الدين والأخوة الإيمانية، ليس له في قلوبهم قدر، وأن الذي حملهم على ذلك، مجرد الخور الطبيعي)

وقال الإمام البقاعي –رحمه الله–في تفسيره: (عدلُوا عن الاسم –الذي وسمها به النبي صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا من المدينة وطيبة مع حسنه –إلى الاسم الذي كانت تدعى به قديمًا مع احتمال قبحه..... وأكدوا بنفي الجنس لكثرة مخالفتهم في ذلك فقالوا: {لا مقام لكم} أي قياماً أو موضع قيام تقومون به –على قراءة الجماعة بالفتح، وعلى قراءة حفص بالضم المعنى: لا إقامة أو موضع إقامة في مكان القتال ومقارعة الأبطال {فارجعوا} إلى منازلكم هراباً، وكونوا مع نسائكم أذناباً، أو إلى دينكم الأول على وجه المصارحة لتكون لكم عند هذه الجنود يد.)

وقال الدكتور سفر الحوالي –فرج الله عنه–: (الوطنية هي الشعار الذي يؤمن به المنافقون كما قال الشيخ السعدي عند قوله تعالى: {يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ}

والوطنية شعبة من القومية وأضيق منها القبلية وهي الشعار الذي فرق المجتمعات وسيمزقنا لو أننا أمنا به وكفرنا بالوحدة الاسلامية وجعلناه للولاء بدل التعارف)

وقال الشيخ رفاعي سرور –رحمه الله–: (وزخرف القول هو الخط الأول من خطوط الصراع بالكلمة من الجانب الجاهلي، يليه خط الفصل بين الإنسان والإسلام، وذلك من خلال منع الكلمة الإسلامية من الظهور: (لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) [سورة فصلت الآية: ٢٦]، ومقاومة أثر الكلمة إذا ظهرت ومن ذلك إصرار المنافقين على اسم يثرب بعد أن دخل الإسلام في المدينة فسميت طيبة، باعتبار أن هذا الاسم أثر من آثار الإسلام في الواقع: (يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا) [سورة الأحزاب الآية: ١٣] كما تمارس الجاهلية الفصل بين

الإنسان والإسلام من خلال المساومة عليه والمداهنة فيه: (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) [سورة القلم الآية: ٩] حتى يضيع الحق بتلك المداهنة.)

وقال الشيخ ابن باز –رحمه الله–: (ولا ريب أن الدعوة الى القومية من أمر الجاهلية، لأنها دعوة إلى غير الإسلام) أهـ.

فهذه هي حقيقة هذه الدعوات الوطنية التي لا تجعل جهادها على أساس ديني وهذا مآلها وهذا هو التاريخ يثبت فشل هذه الدعوات والحركات

وفي المقابل هناك النوع الثاني من الحركات القتالية التي جعلت جهادها على أساس الدين ومولاة أهل الإسلام أينما كانوا ومفاصلة الأنظمة الجاهلية أينما كانت (الولاء والبراء) فهي بايعت الله على الجهاد في سبيله حتى إقامة دينه أو الموت في سبيله فليس عندهم مجال للالتقاء مع الجاهلية في منتصف الطريق كما قال سيد قطب –رحمه الله–:

({لكم دينكم ولي دين}.. أنا هنا وأنتم هناك، ولا معبر ولا جسر ولا طريق!!!

مفاصلة كاملة شاملة، وتميز واضح دقيق..

ولقد كانت هذه المفاصلة ضرورية لإيضاح معالم الاختلاف الجوهري الكامل، الذي يستحيل معه اللقاء على شيء في منتصف الطريق. الاختلاف في جوهر الاعتقاد، وأصل التصور، وحقيقة المنهج، وطبيعة الطريق.

إن التوحيد منهج، والشرك منهج آخر.. ولا يلتقيان.. التوحيد منهج يتجه بالإنسان مع الوجود كله إلى الله وحده لا شريك له. ويحدد الجهة التي يتلقى منها الإنسان، عقيدته وشريعته، وقيمه وموازينه، وآدابه وأخلاقه، وتصوراته كلها عن الحياة وعن الوجود. هذه الجهة التي يتلقى المؤمن عنها هي الله، الله وحده بلا شريك. ومن ثم تقوم الحياة كلها على هذا الأساس. غير متلبسة بالشرك في أية صورة من صوره الظاهرة والخفية.. وهي تسير..

وهذه المفاصلة بهذا الوضوح ضرورية للداعية. وضرورية للمدعوين..

إن تصورات الجاهلية تتلبس بتصورات الإيمان. وبخاصة في الجماعات التي عرفت العقيدة من قبل ثم انحرفت عنها. وهذه الجماعات هي أعصى الجماعات على الإيمان في صورته المجردة من الغبش والالتواء والانحراف. أعصى من الجماعات التي لا تعرف العقيدة أصلاً. ذلك أنها تظن بنفسها الهدى في الوقت الذي تتعقد انحرافاتها وتتلوى! واختلاط عقائدها وأعمالها وخلط الصالح بالفاسد فيها، قد يغري الداعية نفسه بالأمل في اجتذابها إذا أقر الجانب الصالح وحاول تعديل الجانب الفاسد.. وهذا الإغراء في منتهى الخطورة!

إن الجاهلية جاهلية. والإسلام إسلام. والفارق بينهما بعيد. والسبيل هو الخروج عن الجاهلية بجملتها إلى الإسلام بجملته. هو الانسلاخ من الجاهلية بكل ما فيها والهجرة إلى الإسلام بكل ما فيه.

وأول خطوة في الطريق هي تميز الداعية وشعوره بالانعزال التام عن الجاهلية: تصوراً ومنهجاً وعملاً. الانعزال الذي لا يسمح بالالتقاء في منتصف الطريق. والانفصال الذي يستحيل معه التعاون إلا إذا انتقل أهل الجاهلية من جاهليتهم بكليتهم إلى الإسلام.

لا ترقيع. ولا أنصاف حلول. ولا التقاء في منتصف الطريق.. مهما تزيت الجاهلية بزي الإسلام، أو ادعت هذا العنوان!

وتميز هذه الصورة في شعور الداعية هو حجر الأساس. شعوره بأنه شيء آخر غير هؤلاء. لهم دينهم وله دينه، لهم طريقهم وله طريقه. لا يملك أن يسايرهم خطوة واحدة في طريقهم. ووظيفته أن يسيرهم في طريقه هو، بلا مداهنة ولا نزول عن قليل من دينه أو كثير!

وإلا فهي البراءة الكاملة، والمفاصلة التامة، والحسم الصريح.. {لكم دينكم ولي دين}..

وما أحوج الداعين إلى الإسلام اليوم إلى هذه البراءة وهذه المفاصلة وهذا الحسم.. ما أحوجهم إلى الشعور بأنهم ينشئون الإسلام من جديد في بيئة جاهلية منحرفة، وفي أناس سبق لهم أن عرفوا العقيدة، ثم طال عليهم الأمد {فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون} وأنه ليس هناك أنصاف حلول، ولا التقاء في منتصف الطريق، ولا إصلاح

عيوب، ولا ترقيع مناهج.. إنما هي الدعوة إلى الإسلام كالدعوة إليه أول ما كان، الدعوة بين الجاهلية. والتميز الكامل عن الجاهلية.. {لكم دينكم ولي دين}.. وهذا هو ديني: التوحيد الخالص الذي يتلقى تصوراته وقيمه، وعقيدته وشريعته.. كلها من الله.. دون شريك.. كلها.. في كل نواحي الحياة والسلوك.

وبغير هذه المفاصلة. سيبقى الغبش وتبقى المداهنة ويبقى اللبس ويبقى الترقيع.. والدعوة إلى الإسلام لا تقوم على هذه الأسس المدخولة الواهنة الضعيفة. إنها لا تقوم إلا على الحسم والصراحة والشجاعة والوضوح..

وهذا هو طريق الدعوة الأول: {لكم دينكم ولي دين}..)

فهذه الحركات المباركة تمضي في جهادها وإن أصابها ما أصابها في طريقها وإن خذلها الأقربون وخالفها المخالفون فقد علمت أن هذا هو سبيل أحباب الله وأنصاره للمجد والتمكين

قال الله تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: ١٤٦]

وفي الصحيحين عن معاوية –رضي الله عنه–قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك) قال عمير فقال مالك بن يخامر قال معاذ وهم بالشأم فقال معاوية هذا مالك يزعم أنه سمع معاذا يقول وهم بالشأم

وهؤلاء الربيون إذا أصاب من حولهم الوهن أو الضعف جددوا البيعة لربهم وتبايعوا على الموت في سبيل الله شعارهم (يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ) فتتجدد في قلوبهم الآمال وتتحطم من أمامهم الشبهات والشهوات والسدود والحدود أسوقهم في ذلك أصحاب السمرة رضي الله عنهم فقد روى الإمام مسلم –رحمه الله– عن كثير بن عباس بن عبد المطلب قال: قال عباس: شهدت مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فلم نفارقه ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– على بغلة له بيضاء

أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يركض بغلته قبل الكفار قال عباس وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:

« أي عباس ناد أصحاب السمرة »

فقال عباس وكان رجلا صيتا فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها. فقالوا يا لبيك يا لبيك –قال –فاقتتلوا والكفار والدعوة في الأنصار يقولون يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار قال ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث بن الخزرج فقالوا يا بنى الحارث بن الخزرج يا بنى الحارث بن الخزرج.

فنظر رسول الله –صلى الله عليه وسلم–وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– «هذا حين حمى الوطيس ». قال ثم أخذ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال « انهزموا ورب محمد ». قال فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى – قال – فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا.)

فهذه دعوتهم وهذا جهادهم لا يقبلون المساومة عليه وإن فنوا جميعا فالموت على ثوابتهم ضرب من ضروب النصر {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٣٩] وضرب من ضروب الفوز الكبير كما ذكر لنا ربنا تبارك وتعالى في قصة أصحاب الأخدود.. والتخلي عن ثوابتهم ضرب من ضروب الانتحار والخسران

وهنا يحسن بنا أن نشير إلى أثر البيعة والوفاء بها في مثل هذه المواقف ووجوب الوفاء بها كما أشرنا إلى ذلك ضمن سلسلة منن الوهاب في سجن العقاب تحت عنوان "بل بايعهم على الموت" وكما بين الشيخ عبد الحكيم حسان – رحمه الله– في رسالة "البيعة"..

فهؤلاء الثابتون في المحن الموفون بعهدهم مع ربهم تبارك وتعالى ثم مع من عاهدوه على المضي في درب الجهاد والاستشهاد حتى يتحقق لهم إحدى الحسنيين هم **نواة النصر وقاعدته الصلبة** التي تتحطم على صخرتها جميع المؤامرات –بإذن الله– قال الله تعالى: {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ} [التوبة: ٥٢]

وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١١١]

وقال الله تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} [الأحزاب: ٢٣]

وفي أمثال هؤلاء يقول سيد قطب –رحمه الله–: (إن معركة حنين التي يذكرها السياق هنا ليعرض نتائج الانشغال عن الله، والاعتماد على قوة غير قوته، لتكشف لنا عن حقيقة أخرى ضمنية. حقيقة القوى التي تعتمد عليها كل عقيدة. إن الكثرة العددية ليست بشيء، إنما هي القلة العارفة المتصلة الثابتة المتجردة للعقيدة. وإن الكثرة لتكون أحياناً سبباً في الهزيمة، لأن بعض الداخلين فيها، التائهين في غمارها، ممن لم يدركوا حقيقة العقيدة التي ينساقون في تيارها، تتزلزل أقدامهم وترتجف في ساعة الشدة؛ فيشيعون الاضطراب والهزيمة في الصفوف، فوق ما تخدع الكثرة أصحابها فتجعلهم يتهاونون في توثيق صلتهم بالله، انشغالاً بهذه الكثرة الظاهرة عن اليقظة لسر النصر في الحياة.

لقد قامت كل عقيدة بالصفوة المختارة، لا بالزبد الذي يذهب جفاء، ولا بالهشيم الذي تذروه الرياح!)

فهؤلاء أصحاب السمرة في كل زمان يقتدون بأصحاب السمرة الأولى يقول الشيخ ابن العثيمين –رحمه الله– في شرح رياض الصالحين:

(والسمرة هي الشجرة التي بايع الصحابة عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية على ألا يفروا وهم فروا الآن

فقال يا أصحاب السمرة يذكرهم بهذه المبايعة وهذه السمرة شجرة بايع النبي صلى الله عليه وسلم تحتها الصحابة على ألا يفروا أبدا وفيها يقول الله تعالى {لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة} فأخبر الله تعالى أنه رضى عنهم وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة بشرى عظيمة أنهم لا يدخلون النار لا قليلا ولا كثيرا المهم أن العباس دعاهم بهذا يا أصحاب السمرة قالوا لبيك ..

لبيك وأقبلوا كأنهم البقر على أولادها الصغار يعني مسرعين جدا فقاتلوا العدو وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم حصيات رمى بها وجوه القوم وقال انهزموا ورب محمد وصار الأمر كذلك انهزمت ثقيف وغنم منها النبي صلى الله عليه وسلم غنائم كثيرة.. كثيرة جدا ما بين إبل وغنم وأحوال فالحاصل أن هذا الحديث من آيات الله عز وجل حيث نصر الله المؤمنين بعد أن أراهم قوته وأن الأمر أمره جل وعلا ليس بالكثرة ولا بالقوة ولا بالعزيمة ولكن النصر من عند الله عز وجل))

وقال الشيخ الدكتور عبد الله عزام –رحمه الله–: (ومن تراه ينادي في هذه الساعة العصيبة سوى الذين بايعوه قبل ثلاثة أعوام وعلى مشارف الحرم في الحديبية أن لا يفروا؟ سوى أولئك الذين تبوأوا الدار والإيمان يحبون من هاجر إليهم، سوى أولئك القادة الذين قالوا له منذ اللحظة الأولى ليلة العقبة: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل)

وقال الشيخ أبو يحيى الليبي–تقبله الله–: (ثم هاهي التجارب أمامنا تؤكد لنا ما قرره الشرع، فانظروا إلى الساحات التي رفع بها المجاهدون رايات الجهاد خالصة نقية بعيدة عن الجاهلية العمية بجميع أنواعها وسائر أشكالها،

فهذا أمير المؤمنين الملا محمد عمر حفظه الله ورعاه قد ضرب للأمة أروع الأمثلة في التوكل على الله والثقة به واليقين بوعده، وجاءته قوى الكفر كلها ورمته عن قوس واحدة وعلى رأسها راعية دولة إسرائيل أمريكا، وفتحت فما مرت إلا بضع سنين حتى بدأ الكفرة المتبجحون يركضون وراءه طالبين مصالحته، إن في ذلك لعبرة لأولي الألباب.

وتلك العراق ملحمة العصر، والتي ظهرت فيها معجزة الإيمان وتأكد في أحداثها ضرورة صفاء الراية ونقائها، حيث جاءت حامية الصليب راعية دويلة اليهود ومن معها من الأحلاف والشيطان يدفعهم ويحثهم ويجيرهم، فما إن

وطئت أقدامهم تلك الأرض وأزالوا دولة البعث البائسة حتى وجدوا أنفسهم أمام المفاجأة التي لم تخطر لهم على بال، إذ ظهر لهم جنود الإسلام وحماة العقيدة وعشّاق الشهادة من حيث لا يحتسبون، فكان حالهم نظير من قال الله تعالى فيهم من أهل الغرور من أسلافهم:

(وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

فأصبحت العراق لعنة تلاحق أم الخبائث أمريكا وساستها أبد الدهر، فذهبت هيبتها وتمرغ كبرها وتلاشت قيمة جنودها وتبدد اقتصادها، وهاهي اليوم جاثية على الركب تستجدي العالم وتتسول في المحافل لعلها تنال عطية تقيم بها صلبها، وهيهات هيهات وقد دب الهرم في جسدها المتهاوي.

وتلك الصومال لم تكد تطأ أرضها اللاهبة أقدام أوباش الأحباش حتى قام لها أهل العزيمة والصدق والإيمان متوكلين على الله، متبرئين من أدناس الوطنية والقومية والشرعية الدولية وشعارهم:

(إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ)

فتولاهم الله برعايته وحاطهم بعنايته حتى جرجرت أجساد الأحباش النتنة في شوارع مقديشو، كما فعل بأشياعهم من قبل، وهاهم اليوم وبعد عامين يعلنون على الملأ انسحابهم أذلة صاغرين غير ملتفتين إلى نداءات أسيادهم ولا أوامر أربابهم.

فيا اخواننا المجاهدين في فلسطين: ذلك هو الشرع وهذا هو الواقع، فمالكم وبنيات الطريق وقد جربتم كل الرايات، وركضتم في كل الاتجاهات وسلكتم سائر السبل، ومع ذلك فما زال المسلمون يتجرعون الويلات والويلات فلتكن هذه الأحداث المرة درساً بليغاً يتميز فيه أهل الصفاء عن الغثاء، وينفرد أهل العزيمة عن أرباب الوهن، ولينبذوا عنهم الرايات العمّية والدعاوى الجاهلية والتلفيقات الرديّة والطرق الغويّة، وليكن قتالهم لله وفي الله وبالله، ولتنادوا كما نادى أسلافكم الأبرار حينما حمي الوطيس يوم حنين: يا أصحاب السمرة ويا أصحاب سورة البقرة، وسترون من فتح الله لكم وعنايته بكم ودفاعه عنكم ما لم يخطر لكم على بال قال الله تعالى: (وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ))

وهذه السنن تتكرر اليوم فظهر بيننا نداء (يَا أَهْلَ يَثْرِبَ).. ونداء (يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ).. كما ظهر في السابقين..

وهنا لا نملك إلا أن نقول ما نقلناه من كلام الصادقين أعلاه ونقول أيضا ما قاله الشيخ أبو مصعب السوري – رحمه الله– عند حديثه عن التجربة السورية الأولى: (لقد حارب النصيريون الإسلام والمسلمين قاطبة ولمن أراد الدفع والجهاد أن يحاربهم بما يرى من هدى الله وما يفتح عليه ليرد كيد الطغاة عن دين الله وغرض المسلمين ... وما أمر الدفاع بحكر على أحد ويجب أن نتابع حربنا على طريقنا كما بدأناها مستفيدين من تجربتنا الطويلة متعلمين من تلك الدروس منطلقين من ميراث جهادي كبير ... معتمدين على العلي القدري أولا وآخرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

إن على الذين آمنوا بضرورة الجهاد لإعلاء كلمة الله وإقامة حكمه الإسلامي الصرف والنظيف بعيدا عن كل أنصاف الحلول المداهنة والمهادنة المستسلمة، وآمنوا بأنه لن يكون من طريق لهذا والحال هي ما وصلت إليه في سوريا الشام إلا الجهاد الثوري المسلح عليهم بناء أنفسهم بناء عسكريا نابعا من هذه الرؤيا، بناء لا ينسى أنه تنظيم إسلامي قبل كل شيء، بكل ما لهذه الكلمة العريضة من دلائل وضوابط ... لجمع أولئك المجاهدين الصادقين العازمين على التضحية في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم في تنظيم واحد هو الوسيلة لهذا الهدف السامي ...

فقد حملت الأيام الأخيرة ما كان يجب أن يحصل من تمايز أصحاب كل فكر حول فكرهم وقيادتهم في أوساط العاملين في هذه القضية وهكذا اجتمع أصحاب الطروح الوطنية والقومية والخليطة الإسلامية الجاهلية غير المنضبطة ليكونوا لأنفسهم صفا واحدا يلم إليه من يستأهل الانطواء تحت راية كهذه الراية، وتجمع أصحاب العزائم الخائرة والطروح التائهة الترقيعية حول شخصياتهم وثوابت تاريخهم العتيد ليواجهوا هذه الحرب الضروس بما عهدوه من سلسلة الاجتماعات وبناء المؤسسات التي لا تنتهي ...

وتشرذم آخرون حول طروحات شتى أو زعامات شتى! ليكونوا لأنفسهم كياناتهم،

وعلى المجاهدين بدورهم أن يجتمعوا.

نريد لهذه القاعدة المؤمنة من بقية المجاهدين الصادقين أن تلم شعثها وتلملم جراحاتها وتستنفر عزائمها وما تبقى من زاد الطريق لتكون قدوة لكل مجاهد عازم على الانضمام لهذا الركب من

إخوة الدرب على اختلاف مشاربهم طالما أنهم توصلوا إلى مثل هذه القناعة لريادة الشعب المؤمن الذي سيجد ضالته في قدوة الفدائي المسلم المجاهد إن شاء الله تعالى ...

إن عدم اجتماع من آمن بالجهاد في صف واحد هو الذي يجعلنا نراوح مكاننا في مرحلة الانتظار التي يجب أن تنتهي بإذن الله.)

وقال الشيخ أبو مصعب السوري –فرج الله عنه–أيضا في دعوة المقامة: (فلا قتال بلا عقيدة جهادية صحيحة بنيت على أسس متينة من عقيدة إسلامية شاملة. تثبت اليقين وتضبط الأحكام وتحفظ الأخلاق أخلاق القتال وأحكام وآداب وشرائعه مع العدو والصديق. إنه دين كامل.. **فإما جهاد على أسس دين . وإما قتال هرج وملاحم فتن أعاذنا الله منها.**

وهنا تأتي **مسؤولية العلماء وقادة الصحوة الإسلامية** بالنزول لساحة قيادة الجهاد والمقاومة. وكل امرئ حسيب نفسه.. اللهم قد بلغنا فاشهد.. اللهم أعنا على البلاغ والدعوة على بصيرة. والعمل على بصيرة . والجهاد على بصيرة . والشهادة في سبيلك على بصيرة.))

فهذا جهاد أصحاب السمرة الأولى –**(يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ)**– واتباعهم في كل زمان.. جهاد وثبات في سبيل الله كما أمرهم ربهم {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الأنفال: ٣٩].. وهذا قتال الحركات الوطنية (**يَا أَهْلَ يَثْرِبَ**).. قتال على مصالح موهومة ظنوا تحقيقها عن طريق القتال.. فهؤلاء إذا اشتد الكرب واحتدم الصراع وأحيط بالجهاد وأهله رأيتهم يخذلون أصحاب السمرة فيركنون إلى مصالحهم ومكاسبهم الموهومة ومشاريعهم الدخيلة.. ومنهم من يعود إلى حضن الجاهلية يقفزون ويقفون في صفها في حرب أصحاب السمرة للحفاظ على دنياهم وأوطانهم..

فلينظر كل عبد في صف من يقف قبل فوات الأوان فيندم حين لا ينفع فيه الندم

قال الله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}

اللهم أحينا لدينك وأمتنا في سبيلك

د. سامي بن العريدي –عفا الله عنه–

ذو القعدة ١٤٣٩